مجلة الحكمة للدراسات الفلسفية
Eissn :2602-5264 Issn : 2353-0499
المجلد 11 / العـدد: 02 (2023)، ص: 1705-1726

الحوار والخطاب الفلسفي

Dialogue and philosophical discourse

أرزقي قاسم[1]، محمد يحياوي[2]

[1]جامعة الجزائر2(الجزائر)، arezkigacem6@gmail.com

[2]جامعة الجزائر2(الجزائر)، yahiaouimohamed0410@yahoo.fr

تاريخ الاستلام: 2023/05/28 تاريخ القبول: 2023/10/05 تاريخ النشر: 2023/10/06

ملخص:

كان الحوار منذ فجر التاريخ بمثابة حجر الأساس للفكر البشري والحضارة الإنسانية. والغاية منه هو خلق المفاهيم وتدقيقها من أجل بناء شبكة العلاقات الإجتماعية بين الأفراد والجماعات. وقد ارتبطت وظيفة الحوار بالخطاب الفلسفي ارتباطا عضوياً. وإذا غاب الحوار ساد التطرف والعنف. فالفلسفة هي خالقة المعاني والأبعاد والغايات. وكان الأمر حتمياً في غياب الحوار أن يكون مضمون الخطاب فارغا ودوغماتياً. ولتحقيق الغاية، فقد اعتمدنا على منهج التحليل الوصفي والنقدي. وبين الفينة والأخرى، كنا نرجع للتاريخ بصفته سجلاً عامرا بالحوار بمختلف أشكاله.

كلمات مفتاحية: الحوار، الحوار الفلسفي، الخطاب الفلسفي، الرسالة، الفكر الفلسفي.

Abstract:

Since the dawn of history, dialogue has been the corner stone of human thought and civilizations. The importance of dialogue lies in the forming and shaping of concepts, thus creating a network of social relationships among individuals and groups. Dialogue came to have an organic relation with philosophic inquiry, so much so that its absence often led to

extremism and violence. Consequently, we can say that philosophy has a role of generating meaning, dimensions and goals. Without dialogue, the philosophic inquiry becomes dogmatic. So, in order to achieve the goal, we adopted the method of descriptive and critical analysis .Sometimes we relied on history as a souse of reference since it is rich in dialogue in various forms.

Keywords: dialogue, Philosophical dialogue, philosophical discourse, the message, Philosophical thought.

***المؤلف المرسل:** أرزقي قاسم

1. مقدمة

إن المقدمات المنطقية في الخطاب الفلسفي الذي يجذب الإنسان فيجعله يتتبعه بل؛ ويستلذ لدى تتبعه مراحل تركيبه، وليس غريبا أن تتراكب الألفاظ لتحمل لنا معاني فلسفية، هذه الأخيرة؛ ليس من السهل أن توصف بوصف فلسفي إلا إذا كانت تحمل محتوى فلسفيا صرفاً.

ومن هذا المنطلق؛ يعدُّ الحوار إحدى تمظهرات الخطاب الفلسفي، له حضوره في الحياة الإنسانية عامة، ذلك أن الحوار بكل ما يعنيه بين الأطراف المتحاورة(مرسل، مرسل إليه، ورسالة)؛ لا يعدو إلا تعبيرا عن حيرة ودهشة لدى الإنسان تدفعه إلى البحث والتفكير والتمحيص؛ هذه الأركان- مرسل، مرسل إليه، ورسالة- هي التي تجعل من بناء الخطاب الفلسفي في شكل حوار ممتد داخل المنظومة الفكرية لكل خطاب فلسفي. ومنه كان هذا البحث يعالج قضية تأسيس الخطاب الفلسفي في شكله الحواري. وهذا الحوار الذي يكون وفق أصول فلسفية- أيضا- لا بد له من ميكانيزمات وآليات يفترق بها عن باقي الحوارات غير المنتجة فلسفيا؛ ويمكن طرح الإشكالية الآتية: هل الحوار الفلسفي المنتج لمعرفة

فلسفية يؤصل لنهج يفارق التفكير العادي ؟ ثم هل يؤسس الحوار الفلسفي خطابا فلسفيا؟

2.حول إشكالية مفهوم الحوار ووظيفته في سياقه الفلسفي العام.

1.2 ضرورة الحوار كفضاء للتفلسف.

الحوار أحد آليات التفكير الإنساني ويعد سببا في تطوره، فهي تكون مادته الأولى لوضع التجارب الإنسانية المتراكمة وبهذا تطرح أفكارها، وتمحيصها وتنقدها أو تطورها. واستطاع الإنسان باستعمال آلية الحوار الاستفادة من التجارب الإنسانية السابقة وتجاوزها، وذلك من خلال تبادل المعارف والتساؤلات والإجابات.

إذا كان الحوار لغة هو الرجوع عند الشيء والارتداد عنه، وفي الاصطلاح تداوله بين طرفين لمعالجة قضية ما، فكرية أو علمية أو معرفية بأسلوب هادئ بعيدا عن الخصومة(ابن منظور(1993)، ج3، ص361).

فإذا تمعنا في أصل الكلمة باللغة اللاتينية(Dialogue)، فهي مُشَكلَّة من (Dia) أي خلال، و(logue) وتعني الكلمة، فالمعنى هو الكلام بين مجموعة أو شخصين وتأثيراته المتبادلة من خلال طرح الأفكار والتمعن فيها وتبادلها مع طرف آخر، دون إكراه أو عنف(José santuet, (1993), pp6-7).

وهنا تظهر ثنائية" الأنا " و" الآخر "، كطرفي العملية الحوارية، فـ" الأنا " استعمل معادلا للفظ" الذات " في التاريخ الفلسفي، فلسفة" الأنا " هي فلسفة الذات، و" الأنا " يحيل الذات إلى الميتافيزيقا الخالصة قبل أن تتجسد في الذات. وقد عبر بعض الكتاب عن الأنا بـ" الذات"، وهو ما نجده عند علي شريعتي(علي شريعتي(1986)، ص10). ففي اللغة الفرنسية نجد الأنا(le je) والذات (le moi) أما في اللغة الانجليزية فلا تستعمل كثيرا(the i) بل(the self)، وفي اللغة الألمانية (dassich) (José santuet, (1993), pp6-7).

ويختلف أسلوب الحوار من مجال لآخر باختلاف الأدوات والوسائل والغايات. ففي الفلسفة يعتبر الحوار أمرا حيويا، وبدونه فإن التفلسف يفقد كل معانيه، لأن أساس المحاورة هو عدم التسليم والقبول والإذعان لآخر في مسألة علمية، فكرية أو معرفية.

ويعتبر الحوار ضروريا في الفلسفة لأن جوهر الفلسفة وقيمتها تكمن في عدم اليقين بالذات. ثم إن قيمة الفلسفة الحقيقة نلمسها في عدم اليقين بالذات. والشخص الذي لا يملك نصيبا من الفلسفة يُمضي حياته أسيرا لأحكام سابقة يستمدها من البداهة العامة الشائعة وهو درج عليه أهل عصره وقومه..

ومن هذا المنطلق فإن الحوار في فضاء الفلسفة يعتبر أكثر من ضروري، لأن الحوار هو أداتنا الوحيدة للكشف عن حقائق الأشياء، وبدون حوار تفقد الفلسفة أهم خصائصها وهو الشك وعدم اليقين، وبدونه فإن الإنسان قد يظل أسير أحكام جاهزة ومغلوطة دون أن يتحقق منها ومن صحتها إلا بحضور الحوار.

إن القيمة النقدية للخطابات كافة إنما تتأتى مما احتوته الخطابات من حوار كان ضمنيا أو صريحا أي من تفكير على تفكير.

2.2 الحوار لأجل الآخر.

تعد طبيعة العلاقة بين الأنا والآخر محل اهتمام ودراسة في مجال الدراسات المقارنة والصورة، وما تثيره هذه العلاقة من إشكاليات عدة، ولقد انطلقت هذه الثنائية من الإنسان ومحيطه الذي عادة ما ينظر للآخر(المختلف) نظرة النقيض والخصم والعدو...

إن الذات تتشكل ويعاد تشكيلها في المواجهة مع الآخر، وإن الاستجابة للآخر هو ما يساعد على تكوين الذات والتعرف على الآخر مرة أخرى، وحتى يتمكن من الرد سواء بالقبول أو الرفض. فرغبة الإنسان مرتبطة برغبة الآخر، لأن الآخر

يمسك مفتاح الموضوع المرغوب فيه(عبد المقصود عبد الكريم، (1999)، ص98).

من خلال هذا القول نرى أن الذات ترتبط ارتباطا وثيقا بالآخر، فلا وجود لذات دون وجود الآخر، فالآخر هو الركيزة الأساسية في تكوين الذات الإنسانية، فالإدراك الحقيقي للأنا مرتبط بالاختلاف مع الآخر.

من أوجه علاقة الأنا بالآخر علاقة الاتصال والتعارف والتقارب، ففي الفكر الإسلامي يقول الله سبحانه وتعالى:" يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم "(القرآن الكريم سورة الحجرات، الآية: 13) فالمقصود بقول الله تعالى أن الله رفع كل الحواجز اللونية، القبلية العرقية، اللغوية، الجغرافية، بين الأنا والآخر، وأمر عباده بالاتصال والتعّرف فيما بينهم لأن هذا يعود عليهم بالمنفعة والفائدة لوحدة الأصل البشري.

وطرحت علاقة الذات بالآخر نفسها بوصفها إشكالية مركزية في العلاقات الحضارية خاصة بين الشرق والغرب، وأثارت صراعا وجدلا بين الشرق(الأنا) والغرب(الآخر)،وهذه العلاقة القديمة بين الحضارات قامت على أساس الصراع، وهذا ما عبر عنه مالك بن نبي حينما تحدث عن الصراع الفكري في البلاد المستعمرة " إنما تدل على وقوع الحدث الأول من فصل من فصول الصراع الفكري " (مالك بن نبي، (1990)، ص 32).

نلاحظ أن هذه الاختلافات أدت إلى الصراع بين الشرق والغرب فكلاهما مختلف عن الآخر، فكل واحد منهما يمثّل نفسه وعرفه ومجتمعه وحياته وبلده.

وهناك علاقة(شرطية) و(جدلية) في آن واحد بين الذات والآخر وهي علاقة معقدة، حيث يصبح الآخر شرطا لتحرر الذات من(ذات عمياء) لا ترى إلا نفسها، وفي الوقت نفسه فإن تصور الذات من حدودها وخروجها للآخر، يعني

التجديد بإدراك نقاط القوة لدى الآخر، والتي تعني نقاط الضعف لدى الذات، وهذا يعنيّ تحقق البعد الجدلي في العلاقة(آلان تورين(2010م)، ص19).

ومن خلال هذا القول يتضح أن طبيعة العلاقة بين الذات والآخر هي علاقة جدلية وشرطية في آن واحد. فالآخر هو الشرط الأساسي لتحرر الذات من نفسها وحدودها وخروجها للآخر.

وترتبط(الأنا) بعلاقة اختلاف سواء في الجنس أو الفكر أو الانتماء مع" أنا " أخرى، تكون هذه الأخيرة الأخرى، اختلاف الظروف والأحداث التي يملها الواقع عليهما لهدف وانتماء كل منهما، وهي غالبا ما تكون علاقة تعارض واختلاف، والأنا لا تشعر بوجودها إلا بوجود الآخر(عمرو عبد العلي علام(2005م)، ص18).

فجوهر علاقة الأنا بالآخر هي علاقة اختلاف وتعارض، سواء كان هذا الاختلاف في الجنس(ذكر أو أنثى) أو الفكر أو الانتماء أو اختلاف الظروف والأحداث التي مر بها.

ومن أوجه العلاقات بين الأنا والآخر تلك العلاقة المباشرة بين(الأنا) و(الآخر)، فقد يكون الآخر قريبا أوّ صديقا أو عدوا أو أمة أو دولة(عمرو عبد العلي علام(2005م)، ص18). هناك علاقة جدلية بين الأنا والآخر ، وهي جدلية في عمقها وكذلك توترها تاريخيا واجتماعيا وحضاريا....

ترى الباحثة التونسية" أسماء العريف بياتريكس" أن" الآخر كجزء من الذات"(نقلا عن: الطاهر لبيب،(1999م)، ص22). وتضيف أن:" نفي الآخر بتر للذات، بمعنى أنه قطع لجزء منها، هذا رغم أنّه ضروري لاكتشافها إذ تصور الذات لا ينفصل عن تصور الآخر "(الطاهر لبيب،(1999م)، ص22).

وذهب محمد رجب إلى اعتبار العلاقة بين (الأنا) و(الآخر)، علاقة وعي الذات بصورتها وهي علاقة جوهرية حيث قال:" إن الوعي الذاتي ليس سجنا في داخل كيان بيولوجي وإنما هو علاقة بآخر، لكن العلاقة لا تكون إلا إذا كان الآخر

هو أنا، كما أن العلاقة لا تكون إلا إذا كان أنا هو الآخر "(محمد رجب(1994م)، ص203).

نلاحظ أن إدراك كل ذات يكون ـ متصلا بالآخر، ومنفصلا عنه في آن واحد.

من خلال هذا القول نلاحظ أن العلاقة الموجودة بين الأنا والآخر متصل بالأنا. فالأنا بحاجة إلى الآخر لأنها تجهل جانبا مهما من حياتها النفسية(أي خبايا اللاشعور)، والوصول إلى مكامن النفس الخّفية، هذه يكون مستحيلا دون اللجوء إلى التحليل النفسي(الحاجة إلى الغير)(محمد رجب(1994م)، ص204).

ويذهب راينر فونك(Rainer Funk) إلى القول:" أنا هو أنا، طالما أن أنا هو أنا"(راينرفونك(2016م)، ص19). ويعني هذا أن الأنا بحاجة إلى الآخر لمعرفة ذاتها:" حيث تدرك الذات شيئا ما، فإنها لا تستطيع أنّ تحيط به في كلية إلا من خلال الآخرين...."(حسن شحاتة (2007م)، ص17).

ويعني أن الآخر هو الركن الأساسي الذي يساعد الذات في إدراكها للأشياء، فالعلاقة هنا بين الأنا والآخر هي علاقة ضرورية لا يمكن الاستغناء عنها.

ومما سبق نستنتج أن العلاقة بين الأنا والآخر غير ثابتة، ففي كل مرة تتغير وتتخذ موقفا آخر على سبيل المثال تارة الاختلاف، وتارة الرفض له، وتارة أخرى الاحتكاك والتواصل من أجل الأخذ منه، والصراع من جهة أخرى.

عرفت البشرية خلال تطورها التاريخي، حالة من التنوع في المعتقد والتوزيع الجغرافي والعمق التاريخي، وهو الأمر الذي أدخل البشر في حلبة الصراع من أجل البقاء وضمان حياة أفضل، وخاصة من أجل فرض تصور جماعة على جماعات أخرى.

وكان لزاما على البشرية بمختلف تجمعاتها وتنظيماتها عبر العصور، تقنين عملية الصراع والتدافع، والحد من حدة الصدامات، عن طريق فتح قنوات الحوار والتواصل وتبادل الرؤى والأفكار(محمد علي التسخيري، 2005، ص58).

واعتبر الحوار أحد آليات التفكير الإنساني وسببا في تطوره، إذ تكون مادته الأولى وضع التجارب الإنسانية المتراكمة وطرح أفكارها، تمحيصها ونقدها أو تطويرها. ولقد استطاع الإنسان باستعمال آلية الحوار الاستفادة من التجارب الإنسانية السابقة وتجاوزها، من خلال تبادل المعارف والتساؤلات والإجابات.

ومثل هذه الحوارات التي سبق الإشارة إليها لا جرم أن لها أصولا فلسفية انبنت عليها، ذلك أن المناسابات والاختصاصات هي من يحرك موضوع الحوار. وقد تجلى بصورة أخرى في عصر العولمة إثر حوار بين الشرق والغرب منذ العصور الوسطى ووجدت حصنها المنيع المتمثل في القوة الاقتصادية(ينظر: عبد القادر تومي، 2009م، ص 63).

وقد تأرجحت دواعي الحوار وموضوعاته في الفكر العربي الحديث والمعاصر بين إعطائه الأولوية لما كان يشغل الثقافة العربية بموروثها وزخمها المعرفي من عصر التدوين وإلى غاية الانحطاط، وبين الواقع العربي وما يطرحه من قضايا الواقع، حتى وإن كان أحدهم لا يغني عن الآخر، فالحوار حول فلسفة التغيير يسبق التغيير، وتشخيص أسباب التخلف والانحطاط يأتي قبل وضع الآليات الكفيلة بالنهوض بالأمة.

ويعتبر الحوار الفكري الفلسفي أساس كل حوار،" فالفكر يسبق الفعل، والتصور يأتي قبل الممارسة "(حنفي، الجابري، 2004، ص50)، في كل المجتمعات التي ما يزال التراث يسكن حاضرها.

وعليه، وصل المفكرون إلى قناعة أن الحوار يشكل مدخلا لإعادة بناء الذات وتصالحها مع تاريخها وواقعها، حوار قائم على تجاوز الحكم بالخطأ والصواب وأحادية الطرف، والجدية في الطرح والتصور(حنفي، الجابري، 2004، ص48).

يمثل الآخر هدفا استراتيجيا للحوار. ولولا الآخر لفقد الحوار معناه لأنه كان سيظل ذلك مجرد حديث للنفس ومجرد أمنيات. فإذا عُرضت القضية المراد تبليغها للآخر كان ذلك بمثابة الامتحان والفحص والتمحيص لهذه المسألة، واختيار لكفاءة المحاور. وبما أن أي مسألة تبدو في نظر صاحبها بديهية واضحة فعند عرضها على الغير فإنها لا تبدو له كذلك، وقد تثير إشكاليات يتعذر على الشخص حلها، إذا عرضت المسألة على الآخر فإنه سيكشف عن زوايا الظل فيها، وتتضح قابليتها للتصديق. فبتأثير من العاطفة يميل الشخص عادة لتصديق أفكاره، فإذا عرضت على الآخر زال ذلك الميل وبقي الموضوع في شكل حيادي، وبعدها يمكننا التأكد من مصداقية القول. كما يفترض في الآخر الذي نحاوره أن يكون مغايرا لنا وغير متجانس معنا فتبدو له الفكرة المطروحة بشكل آخر في مرآة عقله ونفسه، وهنا يأخذ الحوار مجرى آخر من الآخذ والرد، وهو فحص المسألة، ومصادرها، وغاياتها. ونظرا لتفاوت مستويات التفكير، واختلاف درجات الذكاء والفهم والاستنباط، فقد يتوصل الآخر إلى أمر قد لا يخطر على بال الشخص المحاوِر، وفي الحديث:" رب مبلغ أوعى من سامع "(أحمد بن حنبل، ج34، ص137) فهل المخاطَب ليس نِدّاً في كل الأحوال للمخاطب ؟

وكلما تحدث المحاوِر إلى الآخر كما تجلت له الأمور على غير ما كانت عليه من قبل. لأن الاحتكاك بين الأفكار، ومحاورة الآخر سيشمل قبسا من نور، وقد قيل في المثل:" من المناقشة تنبثق الأنوار "، ويظل الآخر محركا للحوار ولولاه لبقي المحاوِر يخاطب نفسه في صيغة مونولوج، وبغياب الآخر تسود الدوغماتية والأحادية والاستبداد بالرأي، لولا الآخر لغلبت الذاتية على المحاور.

2. 3 المحددات الفلسفية للحوار.

يتميز الحوار الفلسفي بقابليته المفتوحة للنقاش على جميع المستويات المعرفية إذ يعكس هذا الحوار نسبية الحقيقة وعدم إطلاقيتها، لأن المطلق لا

يصدر إلا عن المطلق وهو الله، أما ما سوى ذلك فهو نسبي وقابل للنقاش والزيادة والنقصان وقابل للمراجعة والرفض متى تبين أنه لا يستند إلى أساس سليم من العقل أو التجربة أو البرهان، وفي هذه الصور يمكن التحاور حول ما اعتبره البعض بديهيا أو مسلمة. وإذا كانت مسألة ما تبدو واضحة عند البعض فإنها غامضة عند البعض الآخر وهذا ما يشكك في وضوحها وبداهتها. وهذا ما يحصل من خلال الحوار الفلسفي الجاد. كما يتميز الحوار المحدد فلسفيا بقابليته لاختلاف المواقف، فكل قضية ذات طابع فلسفي قابلة للأخذ والرد، وقابلة للاختلاف، وكل مسألة يتوقف عندها النقاش تتحول إلى عقيدة دوغماتية وبذلك تخرج عند دائرة الفلسفة من قبيل " اعتقد ثم انتقد " أو التسليم بعقيدة التثليث مثلا على أنها لا تخضع للنقاش كما يحرص التفكير الفلسفي ومناهجه على أن النقاش والحوار ينصب أساسا على ما هو موضوعي من القضايا ومنها استبعاد المسائل الذاتية والشخصية من النقاش وبالتالي إخراجها من دائرة الحوار المحدد فلسفيا، ومن مبادئ الحوار الفلسفي في أي موضوع كان يستحيل أو يتعذر الوصول فيه إلى نتائج نهائية، بل إن النتائج الفلسفية مهما كانت أهميتها تبقى مفتوحة وقابلة للنقاش دوما لأن الحوار جدلي مفتوح وهذا ما يضمن استمراريته إلى ما لا نهاية.

3.موضوعات الحوار الفلسفي والمعنيون به.

1.3 المقاصد الفلسفية كمرجعية للقضايا الحوارية(السعي المتواصل لطلب الحقيقة على قدر الطاقة البشرية).

تختلف المقاصد الفلسفية من الحوار عن المقاصد غير الفلسفية، لأن جوهر الفلسفة يتمثل في تغليب روح التساؤل والنقد أكثر من الاهتمام بالحصول على أجوبة جاهزة كما نجد ذلك في العلوم التجريبية والتقنية التي تستهدف أساسا نتائج عملية، أما التساؤل الفلسفي فإنه يفتح آفاقا واسعة للحوار، ولا

يهدف للوقوف عند نتائج معينة أو نهائية، أو محسومة وهو حوار ينطلق من الدهشة، والقلق والحيرة وعدم الاقتصار على ما هو موجود بل يرمي دائما للتدقيق والتحيين، والارتقاء إلى ما هو أسمى وأفضل. ولذلك فروح التساؤل تظل مستمرة في الحوار الفلسفي ولا تقف عند حدّ معين؛ لذلك كان السؤال في الفلسفة أهم من الجواب؛ ومنطقيا يتحول كل جواب إلى سؤال جديد.

وإذا كان الحوار الفلسفي ينطلق من بدايات معينة كمسلمات أو فرضيات أو ينطلق من حقائق مفحوصة فإن نتائجه تظل مجهولة ومفتوحة، بينما الحوار غير الفلسفي يفتقد للحرية وغالبا ما يكون محسوما لأنه يرمي إلى غايات قد تكون محددة من قبل. وعدم الحسم في نتائج الحوار لا يعني أن نتائجه ارتيابية مطلقة لأن ذلك يعيدنا إلى الشك المطلق الذي عرف عند الشكاك اليونانيين، وهو شك هدام وإنما المقصود منه هو الشك النسبي المؤقت أو الشك المنهجي الذي اشتهر به ديكارت، وعرف به الغزالي من قبل" من لم يشك لم ينظر، ومن لم ينظر لم يبصر ومن لم يبصر بقي في العمي والضلال البعيد "(ينظر: أبو حامد الغزالي،(1979)، ص86).

2.3 إعادة النظر في مفهوم الحوار بالنظر لتعقد قضايا الخطاب الفلسفي

يعتبر الحوار ظاهرة كونية إنسانية منذ خلق الله الإنسان(حوار الله مع الملائكة، حواره مع إبليس، وحواره مع الإنسان، حواره مع رسله، حوار الرسل مع أقوامهم، حتى بينهم وبين الكافرين، وبينهم وبين المخالفين لهم حتى الحوار والجدال فيما بين المؤمنين أنفسهم)(ينظر: محمد حسين فضل الله، بلا تاريخ، ج1، ص 10).

والحوار في مختلف مراحله التاريخية هو تعبير عن المستوى المعرفي للإنسان، وكلما تطور هذا المستوى كلما تطور معه مستوى الحوار وكلما تقلص

مستوى المعرفة كلما صار الحوار عبارة عن جدل فارغ، وغلب عليه العنف ومحاولة إسكات الطرف الآخر بدل إقناعه بغير حجة ولا برهان.

ويرتبط الحوار بالخطاب ارتباطا وثيقا، فالحوار يتضمن خطابا، والخطاب بلا حوار يصبح سطوة وسيطرة وأوامر للتنفيذ لا للمداولة والمراجعة.

وفي الخطاب الفلسفي اشتهر الحوار بقوة عند سقراط في حواراته التي دونها تلميذه أفلاطون وكان الحوار مولدا للمعاني ثم اشتهر الخطاب والحوار في صيغة منطقية عند أرسطو.

في البدء كان الحوار، والحوار هو أساس فن السؤال بينما الخطاب هو فن الجواب ولولا السؤال لما كان الجواب، ولولا الحوار لما كان الخطاب إذن فالحوار هو مولد الخطاب، وقد يكون الخطاب مثار سؤال فيتحول الجواب إلى سؤال(من الخطاب إلى الحوار) وهنا نسجل العلاقة الجدلية بين الحوار المبدع المنتج المولد للمعاني والخطاب الفلسفي الذي قد يطرح قضايا قد تكون بدورها مثار حوار وجدل ونقاش.

وفي القرون الوسطى يمكن القول بأن الخطاب الفلسفي قد تقلص لأن دائرته كانت محصورة في قضايا الميتافيزيقا والدين وعلاقتها بالعقل. وهو ما نجده في الفلسفة المسيحية أو الفلسفة الإسلامية على حد سواء ومن أمثلة ذلك ما كان من حوارات فلسفية دينية(علم الكلام الإسلامي) ويمكن التمثل لهذا لدى أبي الوليد ابن رشد" والفيلسوف قصده معرفة الحق فقط "(أبو الوليد ابن رشد، ص27). ويمكن القول أن حوار المثاقفة التي شملت الشرق والغرب أنذاك. فبعيدا عن الغربنة أو الشرقنة للفكر الفلسفي أنذاك لا بد من الاعتراف بأن الحوار الفلسفي في تاريخانيته المتميزة إبان العصور الوسطى أنتج حضارة متميزة.

ويمكن القول أن الحوار في القرون الوسطى قد تجمد وتحنط لأن الفكر الديني الكنسي كان مسيطرا، كما أن الفقه الإسلامي قد تجمد فيه الحوار عند

حدود النص الديني وقضى على أبواب الاجتهاد؛ كما هو الحال في احتكار الفكر لدى الكنيسة واعتبار كل من خرج عن سلطة الفكر الكنسي مروقا عن الدين ويجب معاقبة من يتجرأ على ذلك وهذا ما يظهر في مسألة مكانة العقل لدى الكنيسة (لويس غرديه، جورج قنواتي، 1983م، مج3، ص95).

وفي العصور الحديثة تغير الخطاب الفلسفي بسبب ميله إلى التنوير بعد خروجه من خطاب القرون الوسطى، وبدأت تظهر الأنساق الفلسفية الكبرى كفلسفة ديكارت، وكانط، وهيغل. وهنا تغير نظام الخطاب بسبب التطور في نظرية المعرفة واختلاف الأسس التي قامت عليها هذه الفلسفة أو تلك، ومن هنا يمكن القول أن الحوار المتضمن في هذا الخطاب قد تغير بتغير مضمون الخطاب ثم ازداد نظام الخطاب تغيرا بعد فلسفة نيتشه، وظهور فلسفة ما بعد الحداثة، حيث صارت الفلسفة هائمة على وجهها وهي تطرق كل أبواب المعرفة وبذلك يتحول الحوار من منظومة سابقة إلى منظومة لاحقة ولا يقر لها قرار. وقد عرف الغرب عصبيتين عصبية القوم على الفرد وعصبية القوم على القوم أدت الأولى إلى انحسار الشخصية الفردية بضرورة تطبعها بطابع الجماعة إلى أن أصبحت التربية عندهم لا معنى لها سوى التشبه الاجتماعي(إسماعيل راجي الفاروقي، (1989م)، ص11).

3. 3 متلقي الرسالة: مؤهلاته وخصوصياته.

متلقي الرسالة هو المستهدف بالحوار وهو بالضرورة مختلف عن المحاور، وإلا لما كان الحوار يكتسي أي أهمية. فكيف يتعامل المحاور مع المتلقي؟ وكيف يكون الحوار مع شخص يختلف عنا في الاتجاه، والمستوى المعرفي، والتجربة، وفي منظوره للأشياء ؟ لكي يكون التواصل بين أطراف الحوار مثمرا ومنتجا لا بد من التقيد بالشروط التالية:

أولا- التجرد في المحاورة وعدم السعي للمساس بالشخص الذي نحاوره بقدر ما نناقش الفكرة أو الموضوع محل الحوار، وغايتنا في ذلك هو تمحيص الأفكار وفحصها، ويحرص المحاور أن لا ينتصر لفكرته ولا لشخصه، وهذا يعني أن الحوار ينبغي أن يكون موضوعيا بعيدا عن الاختلاف الشخصي وحصر الاختلاف حول الموضوع.

ثانيا- الاستعداد للاعتراف بالخطأ لدى المحَاوَر متى تبين للمحَاوَرِ زوايا جديدة من الموضوع لم يكن قد تنبه لها من قبل. فلا أحد يملك الحقيقة المطلقة مهما كان تمكنه وتحكمه في الموضوع لأن العلم الكلي والمطلق لا يحق إلا لله.

ويكون هذا الاستعداد للاعتراف بالخطأ، أن منطلقات الحوار في أي موضوع ليس بالضرورة أن تكون بديهية ولا قطعية ولا محل اتفاق بين الطرفين ويكون الأمر كذلك خاصة عندما ننطلق من مسلمات تتكافؤ فيها أدلة الإثبات مع أدلة النفي، وهو ما قرره أبو حامد الغزالي(ينظر: أبو حامد الغزالي، 1413هـ، ص38) ولذلك تشتهر عند علمائنا القدامى:" رأيي صحيح يحتمل الخطأ ورأي غيري خطأ يحتمل الصواب ".

ثالثا- ضرورة انطلاق الحوار من أرضية مشتركة للطرفين وإلا فإن نتائج الحوار تكون متعذرة سلفا، فإذا كان المحاور يختلف بالضرورة عن المتلقي في المنطلقات والغايات فلا بد للمحاور أن يتفق مع المتلقي على معايير وقواعد مشتركة من أجل نجاح الحوار وهذا ما قرره القرآن الكريم:" وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَى هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ "(القرآن الكريم، سورة سبأ، الآية: 24).

رابعا- ضرورة احترام الآخر وعدم الاستعلاء عليه مهما كان الاختلاف بين الطرفين فإذا اعترضنا حوار بين الأديان، فلا بد أن يكون هذا الحوار قائما على الاحترام المتبادل بعيدا عن المساس بالأشخاص، ولا الهيئات مهما كان حجم الاختلاف كبيرا. لأن الغاية من الحوار ليست هي الانتصار على الآخر، بقدر ما هو حوار من

أجل تقريب وجهات النظر، أو توضيح بعض المبادئ بالنسبة للبعض الآخر. وهنا يتطلب من المحاور أن يقبل الآخر كما هو ومهما كان غريبا.

خامسا- الإصغاء والتفهم للآخر وعدم تسفيهه أو تجريحه أو إهانته لأن ذلك سيكون حاجزا وعائقا في وجه الطرفين ويحول دون تفاهمهما.

سادسا- اعتماد منهجية المقاربة بتبادل الأدوار، حيث يفترض المحاور أنه مكان المتلقي وبذلك يمكن أن يستوعب الآخر ويتفهمه حتى وإن لم يتوافق معه.

سابعا- مراعاة الندية في المتلقي تجنبا لكل سطوة من قبل المحاور (السوفسطائيون نموذجا)(بلدي، بلا تاريخ، ص64).

ثامنا- الحفاظ على حرية الاختيار لدى المتلقي في قبول النتائج أو رفضها.

4. الأبعاد الفلسفية للحوار.

4. 1 أهمية البعد الفلسفي للحوار.

تكمن أهمية الحوار بالنسبة للخطاب الفلسفي في أنه يمثل الشرارة الأولى التي ينطلق منها التفلسف فالتمحيص الذي يقوم به الفيلسوف وهو يبحث عن الحكمة يبدأ بالحوار. ومن هنا فنحن نبدأ بالحوار لننشئ خطابا فلسفيا، لكن صيغة هذا الخطاب هو الذي يحدد الآفاق القصوى لهذا الحوار. فإذا كان الحوار ظاهرة إنسانية عامة، فإن الحوار في الفلسفة لها طابع خاص، إذ يبدأ هذا الحوار من مستويات قاعدية معينة، ويظل يتسع ويتسع إلى ما لا نهاية دون أن نفترض له حدودا ينتهي عندها. وذلك أن الحوار الفلسفي يحركه الشك وعدم اليقين، وكلما توصلت المعرفة إلى نتائج يقينية كلما تخلت الفلسفة عنها لصالح العلم. وعن ضرورة الفلسفة فإننا لا نستطيع أن تحدد لها نهاية للمطاف. فيما الحوار الخالي من البعد الفلسفي مجاله مغلق. فالبعد الفلسفي في الحوار هو أداة لتحريرنا من كل القيود المادية والمعنوية، بحيث لا توجد سلطة أعلى من الحوار ذاته، ولا مجال فيه للإذعان فيه أو الخضوع إلا لمّا يتبين بوصفه أنه حق بيّن ولا سيطرة لأحد

على آخر إلا بواسطة الحجة والبرهان، والبرهان ينبغي أن يكون خالصا من كل الشوائب ومن الأغاليط، والمراوغات، والحيل، والبعد الفلسفي يحمينا من كل التجاوزات والحيل والعواطف التي قد تختبئ وراء الحوار. كما أنه يحمينا من السطوة النابعة عن امتلاك السلطة، والبعد عن الشعور بالتفوق.

4. 2 المنطلقات الفلسفية للحوار.

تعتبر الدهشة هي المنطلق الفلسفي الأول للحوار. كما اشتهر بذلك أفلاطون. ونعني بالدهشة في الحوار الفلسفي هو أن ينطلق المحاور من الجهل بالأشياء، وعدم اليقين في أي شيء مهما كان هذا الشيء بسيطا وواضحا. ففي الفلسفة كل مسألة قابلة للنقاش وليس هناك شيء مقبول بذاته مهما كان يبدو بديهيا. فالفيلسوف يندهش من كل شيء كما هو الشأن عند الطفل الذي يتساءل بطبيعته عن كل شيء، ويريد أن يتحقق من أي شيء.

ويعتبر الشك الفلسفي هو محرك هذا الحوار لأن هذا الشك هو الذي يفرض علينا أن نتساءل باستمرار بغية البحث عن أرضية ثابتة ومنطلق سليم للأشياء. ولولا الشك لتحول الحوار إلى دوامة، وإلى مجموعة من العقائد اليقينية التي تفتقر إلى إثبات وتحتاج إلى دليل. لكنه من الصعب الوقوف على أرضية صلبة وثابتة ولذلك فإن الحوار يستمر إلى ما لا نهاية.

ومن هنا فإن الحوار الفلسفي يُبقى على القابلية للنقاش لأي مسألة ويفتح الآفاق أمام احتمالات عدة.

4. 3 خارطة طريق للحوار الفلسفي المنشود.

لكي تتحقق الغاية المرجوة من الحوار الفلسفي المنشود لا بد من توفر المنطلقات والقواعد التالية:

أولا- ضبط الاتجاه بضبط المنهج والذي يحديد المسار من أين نبدأ وإلى أين نتجه ؟ وما دام الحوار ذو طابع فلسفي فإن المنهج المتبع هو المنهج الفلسفي، كما هو

معلوم فإن هذا المنهج يختلف باختلاف المواضيع المطروحة للنقاش، ومواضيع الفلسفة هي مواضيع مختلفة، ولكل منها المنهج الذي يتلاءم معه فإذا كان الحوار يتعلق بالدين والفلسفة فإننا نتبع فيه الأدلة التي نرجع فيها إلى النص، ونرجع فيها إلى التأويل والنقد العقلي.

وإذا كان الموضوع يتعلق بالحرية فإن المنهج المتبع هو فحص الأدلة المعتمدة في إثباتها أو نفيها من الناحية النفسية أو الاجتماعية أو الأخلاقية.

ثانيا- مفهوم خارطة الطريق.

إن مفهوم خارطة الطريق يعني خارطة للتدفق وهي أداة تصوغ الإجراءات بشكل مرسوم يوضح الإجراء المطلوب، وزمنه، ومتطلباته ومعاييره والمكلف به.

وإذا كان الحوار يتم بين طرفين أو مجموعتين فإن الطرف الأول هو المرسل والطرف الثاني هو المتلقي وبينهما رسالة من المرسل إلى المتلقي.

فما هي المواصفات التي ينبغي أن يتحلى بها كل من الطرفين- وخاصة المرسل-؟ وما هي الخلفيات والمقاصد التي ينطلق منها كل منهما ؟ وهل الحوار الجاري بين الطرفين له قيود يتقيد بها أم هو حر من كل القيود ؟ هل هناك أهداف مسبقة يصمم عليها أحد الطرفين ؟ أم أن الحوار ينساب انسيابا ويتدفق شلالا، وهو يحدد مجراه ومساره بكل سلاسة وتلقائية ؟ هل في هذا الحوار أمر خفي لا يحب أن يصرح به أحد الطرفين، أم أن السبيل مفتوح أمام الطرفين على حدّ سواء ؟

وبعبارة أخرى هل مسار الحوار محدد سلفا، ومحطته التي ينبغي أن يقف عندها، وأن يصل إليها هي أمر مخطط له من قبل؛ أم مسار الحوار يحتمل كل الاحتمالات، والوجهة لم يتم تحديدها من قبل ؟

هل الحوار يدور في نسق مغلق أم في نسق مفتوح ؟ وبعبارة أخرى هل المتحاوران مقيدان بشروط مسبقة أم غير مقيدين ؟

وعلى سبيل المثال: تختلف طريقة التدريس في المقاربة بالأهداف عن طريقة التدريس بالمقاربة بالكفاءة من حيث الطريقة والغاية في كل منهما. أما التدريس بالأهداف فإنه ينحو نحو النسق المغلق وكل الحوار الذي يدور بين الأستاذ والتلميذ هو من أجل تحقيق هدف تعليمي وتربوي معين قد يكون نظريا أو إجرائيا، وبالتالي هناك سلسلة من الإجراءات التي ينبغي الخضوع لها من أجل الوصول إلى الغاية، وفي هذه الحالة فإن الأستاذ هو الذي يعتبر محور العملية التربوية والتلميذ ليس إلا متلقي، والأسئلة التي يعدها الأستاذ هي حصريا من أجل تحقيق الهدف المنشود فقط. وليس للأستاذ ولا للتلميذ اختيار آخر غير الهدف المرسوم سلفا. إذن فالحوار محدد ومغلق، ولغاية محدد ومغلقة. أما في حالة التدريس بالمقاربة بالكفاءة فإن المسلك ووسائله وركائزه ستكون مختلفة.

ثالثا- المسلك مفتوح، الغايات تحقيق كفاءات، والتلميذ مركزها. والحوار الحر لا يقيده قيد بحيث أن أهداف الكفاءة لا تنحصر في دائرة الدرس الفلسفي بل هي مفتوحة على مصراعيها، متجاوزة حدود القسم، إلى كل الآفاق الاجتماعية والتطبيقية والميدانية.

5.أشكال الحوار ومميزاته.

5. 1 أهم أنواع الحوار.

يختلف نوع الحوار باختلاف الاختصاص الذي يمليه موضوع الحوار ومن هنا يتمايز الحوار الفلسفي عن غيره من الحوارات، وإن كان كل حوار في أي مجال إلا واستغرقه الحوار الفلسفي مهما كان؛ ومبرر هذا أن البناء الفكري الفلسفي لعالم الأفكار- كما يعبر عنه الأستاذ مالك بن نبي- إنما منطلقه الأساس فلسفة العلم أو الموضوع، موضوع الحوار ومن هنا يتأسس الخطاب الفلسفي للحوار ذاته. ويمكن التمييز بين أسلوب الفيلسوف في طرحه من خلال الخطاب الذي ارتضاه

عن بقية الخطابات الأخرى ولا يتأتي هذا إلا بتمحيص ونقد وتدقيق للمصطلحات التي يرتقي من خلالها الحوار والخطاب من مستوى إلى آخر.

أولا- (أ)- أنواع الحوار غير الفلسفي:(حوار الأديان، حوار الحضارات، المفاوضات).

ومثل هذه الحوارات قديمة ومتجددة لتعاقب الأزمان واختلاف المجتمعات منذ زمن طويل؛ وليس غريبا أن نجد مثل هذه الحوارات تقام لها المنتديات والملتقيات والمؤتمرات للوصول إلى أفكار جديدة وفق فلسفة متوافقة مع ما يرمي إليه أهله. وهنا لا بد أن نسجل ما دعا إليه كثير من المفكرين ولعلنا نذكر صمويل هنتغيغتن لما دعا إلى" صراع الحضارات " من النصف الأخير من القرن الماضي. في حين نجد الأستاذ روجي غارودي يدعو إلى" حوار الحضارات " وفق ما يقتضيه التجاذب بين الأفكار. ومن نافلة القول أن نقرّ أن الاختلاف سنة كونية لا مجال لنكرانها والدعوة إلى فرض رأي أو مذهب على آخر.

(ب)- خطورة غياب البعد الفلسفي منها لأنها حوارات ستفتقر إلى الحرية بسبب القيود النفسية والسياسية، التي تجعل كل هذه الحوارات خاضعة لحسابات ومصالح مسبقة.

إن لغياب البعد الفلسفي في كل الحوارات إنما مرجعه إلى قيود ومكبلات نفسية أو إيدولوجية متحكمة في مثل هكذا حوارات ومن هنا لا يمكن بأي حال من الأحوال أن يكون الحوار منتجا لأن الإنسانية تبحث عما يقرب أفرادها بعضهم من بعض على اختلاف وجهات النظر ليعيش الجمع في أمن وسلام.

ثانيا- الحوارات الفلسفية: وهي كل حوار يتعلق بموضوع يثير الجدل والنقاش مهما كان موضوعه اجتماعي، تاريخي، سياسي، ديني، فكري، حضاري، بحيث يتوخى أصحاب هذه الحوارات التدقيق والتحقيق والتمحيص، وبكل نزاهة وموضوعية وحرية، قصد الوصول إلى أقصى ما يمكن بلوغه من الحقيقة.

5. 2 معالم رئيسية للحوار الفلسفي.

أولا- أنه نسق مفتوح وليس مغلقا، وبالتالي فهو يسعى بكل ما أوتي من قوة لطلب الحقيقة وليس خاضعا لشروط قبلية مسبقة.

ثانيا- أنه قائم على أساس الحجة والبرهان وليس على أساس الاعتقادات والعواطف.

ثالثا- أنه حوار موضوعي غير ذاتي ينطلق من أرضية ثابتة وليس من مسلمات قابلة للقبول والرفض.

رابعا- أنه إنساني ذو أبعاد عالمية وليس محصورا في دائرة المحلي.

خامسا- قائم على مراعاة تكافؤ المقدرة بين الملقي والمتلقي حتى لا تكون سطوة المحاور على المتلقي فيذعن لسلطان خطابه على حساب قناعته، فيكون ذلك على سبيل الإكراه وليس على أساس الاختيار.

6. خاتمة

إن التأسيس لحوار فلسفي يقوم على معطيات ومفاهيم يمكن أن نجعلها متكأ لبلورة خطاب فلسفي رصين يمكن أن نتخذه طريقا لغد مشرق لمجتمعنا الحالي مما يؤكد على ضرورة بيان حقيقة(الأنا) و(الآخر) ومن ثمة التأسيس للعملية الاتصالية وفق ما يقتضيه جهد المشتغلين بهذا الميدان؛ ومن هنا لا بد من ضرورة إعادة صياغة الحوار والخطاب الفلسفي اليوم من خلال دراسات جريئة جادة تدعو إلى بلورة صورة جديدة لهذا الخطاب؛ وإخراجه من دائرة الكمون إلى الفعل.

وذلك من خلال تفعيل مجموع التصورات التي دعت من قبل إلى مثل هكذا دعوة؛ واليوم يجب استثمار التجربة التاريخية للخطاب الفلسفي في حاضرنا لأجل بناء جديد متماسك لهذا الخطاب.

7. قائمة المراجع:

آلان تورين(2010م)، *نقد الحداثة*، ترجمة، عبد السالم الطويل، المغرب: إفريقيا الشرق.

بلدي، نجيب(د. ت)، *دروس في تاريخ الفلسفة*، أعدها للنشر الطاهر وعزيز وكمال عبد اللطيف، المغرب: دار توبقال للنشر.

التسخيري، محمد علي(2005)، *الحوار مع الذات والآخر*، طهران: المجمع العالمي للتقريب بين المذاهب.

تومي، عبد القادر(2009)، *العولمة من الاقتصاد إلى الإديولوجيا*، الجزائر: مؤسسة كنوز الحكمة للنشر والتوزيع.

ابن حنبل، الإمام أحمد(1999)، *مسند الإمام أحمد بن حنبل*، تحقيق، شعيب الأرناؤوط وآخرون، (ط2)، دمشق: مؤسسة الرسالة.

حنفي، حسن، والجابري، محمد عابد. (2004)، *حوار المشرق والمغرب*، (ط4)، القاهرة: رؤية للنشر والتوزيع.

ابن رشد(أبو الوليد)(1991)، *فصل المقال في ما بين الحكمة والشريعة من الاتصال*، قدم له وحققه وعلق عليه، عبد الكريم المراق، (ط1)، تونس: المنشورات للإنتاج والتوزيع.

راينرفونك(2016م)، *الأنا والنحن التحليل النفسي لإنسان ما بعد الحداثة*، ترجمة، حميد لشهب، (ط1)، لبنان: مكتبة الفكر الجديد، جداول للنشر.

رجب، محمد(1994)، *فلسفة المرأة*، (ط1)، مصر:دار المعارف.

شحاتة، حسن(2007م)،*الذات والآخر في الشرق والغرب*، (ط1)، مصر: دار العالم العربي.

شريعتي، علي(1986)، *العودة إلى الذات*، ترجمة وتقديم إبراهيم الدسوقي شتا، (ط1)، القاهرة: مركز الزهراء للإعلام.

عبد الكريم، عبد المقصود(1999)، *جاك لا كان وإغواء التحليل النفسي*، مصر: المجلس الأعلى للثقافة.

علام، عمرو عبد العلي(2005)، *الأنا والآخر(الشخصية العربية والشخصية الإسرائيلية في الفكر الإسرائيلي المعاصر)*، (ط1)، مصر: دار العلوم.

الغزالي، أبو حامد(1413هـ)، *المستصفى علم الأصول*، تحقيق محمد عبد السلامعبد الشافي(ط1)، بيروت: دار الكتب العلمية.

الغزالي، أبو حامد(1979)، *المنقذ من الضلال*، تحقيق عبد الحليم محمود (ط1)، بيروت: دار الكتاب اللبناني.

غرديه، لويس، وقنواتي. ج(1983)، *فلسفة الفكر الديني بين الإسلام والمسيحية*، نقله إلى العربية الشيخ الدكتور صبحي الصالح، والأب الدكتور فريد جبر، (ط2)، (مج3)، بيروت: دار العلم للملايين.

الفاروقي، إسماعيل راجي(1989)، *نحن والغرب*، الجزائر: الزيتونة للإعلام والنشر.

فضل الله، محمد حسين(د. ت)، *الحوار في القرآن، قواعده أساليبه، معطياته*، (ج 1، 2)، قسنطينة، الجزائر: دار المنصوري للنشر.

لبيب، الطاهر(1999)، *صورة العربي ناظرا ومنظورا إليه*، (ط1)، بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية.

ابن منظور أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم(1993)، *لسان العرب*، (طبعة جديدة منقحة)، لبنان: دار صادر.

ابن نبي، مالك(1990)، *الصراع الفكري في البلاد المستعمرة*، دمشق: دار الفكر.

الأجنبية:

José Santuret, Le Dialogue, Hatier, 1993.